خطبة صلاة الجمعة 18/ 4/ 2015 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(التحبب إلى الآخرين)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90].

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: (هَذِهِ أَجْمَعُ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ لِخَيْرٍ يُمْتَثَلُ، وَلِشَرٍّ يُجْتَنَبُ).

روى الترمذي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**مَا مِنْ شَيءٍ يُوضَعُ فِي المِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيبلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِب الصَّوم وَالصَّلاةِ**» [الترمذي].

أيها الإخوة:

هذه هي الخطبة الثالثة عشرة في سلسلة خطب عنوانها (**فضيلة... أخلاق تعاملية**)، بإمكانك التدرب على الخلق الحميد لتكتسبه، وبإمكانك التخلي عما علق بك مما لايليق بمثلك. وهذا هدف السلسلة.

عنوان خطبة اليوم: (**التحبب إلى الآخرين**)

سبق في الخطبة الماضية حديث عن محبة الآخرين وذكرت أن محبة الآخرين أصل ترجع إليه مكارم خلقية كثيرة، فالتعاون والإيثار والنصح والبر والمشاركة في السراء والضراء ونحوها مكارم أخلاق منبعها محبة الآخرين.

الحسد والبغضاء والغيبة والظلم والإضرار والأثرة ونحوها مساوئ أخلاق منبعها حب الذات وكراهية الآخرين.

محبة الآخرين خلق تنبعث منه فضائل جمة وتتناثر منه أخلاق حسان.

وختمت الخطبة بحديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه البيهقي بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**المؤمن يَألفُ، ولا خير فيمن لا يَألفُ ولا يُؤلَف**».

وفي متابعة لمحبة الآخرين جاءت خطبة اليوم: التحبب إلى الآخرين.

فمحبة الآخرين أن تحبهم أنت، والتحبب إلى الآخرين التودد لهم حتى يحبوك.

أذكر أن سيدنا أبا هريرة رضي الله عنه قال: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يُحَبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُحَبِّبَهُمْ إِلَيْنَا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا – يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ – وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِمِ الْمُؤْمِنِينَ**» [رواه مسلم]، فهو رضي الله عنه يحب أن يحبه الآخرون.

وأذكر أن صحابياً كان يسأل رسول الله صلى الله عليه سلم، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ**» [رواه ابن ماجه]. فالصحابي الجليل يحب أن يحبه الله ويحبه الآخرون.

وأذكر أني قرأت في طبقات المحدثين قولَ النبي صلى الله عليه وسلم لسيدنا عليّ: «**قل يا عليّ: اللَّهم اجعل لي عندك عهداً، واجعل لي في قلوب المؤمنين مودَّةً**» [طبقات المحدِّثين بأصبهان لأبي الشَّيخ الأصبهاني]. فالنبي صلى الله عليه وسلم يعلم سيدنا علياً أن يسأل الله تعالى أن يحببه لعباده المؤمنين.

ويروي أهل الشمائل في وصفه صلى الله عليه وسلم يقولون: (من رآه بديهةً هابَه، ومن خالطه معرفةً أحبَّه) [الترمذي].

فهل أنت محبوب عند الناس؟ هل تحبك زوجتك؟ وهل يحبك أبناؤك؟ وهل يحبك جوارك وأرحامك؟

هل يشتاق لك أبواك؟ وهل يحنُّ لك أخواك؟ وهل يفتقدك أصحابك وأهل نجواك؟

إنَّ الفردية والأنانية سببٌ لإصابة النَّاس بأمراض نفسية كالاكتئاب والقلق والوسوسة، وربما انعكست أمراضاً جسدية.

أكَّدت دراسة بحثية أنَّ الأشخاص الذين يتمتعون بروابط عائلية قوية وبصداقات حميمة يتماثلون للشِّفاء أسرع من الذين يعانون الوحدة.

وأكَّدت دراسة أُخرى أنَّ تقليل الأنانية والفردية يساعد على تحسين الحالة الصِّحية لمرضى القلب.

وأكَّدت دراسة ثالثة أنَّ كبار السِّنِّ الذين ينعمون بعلاقات اجتماعية جيدة ويزورهم أصدقاؤهم يقل ارتفاع ضغط الدَّم عندهم عن نظرائهم الذين يعانون الوحدة.

وفي دراسة أجريت على مائتي حامل في السادسة والعشرين من أعمارهنَّ، تبيَّن أنَّ النِّساء اللاتي يتمتعن بالتَّفاؤل والثِّقة والرِّضى والعلاقات الاجتماعية الجيدة ينجبن أطفالاً أكثر وزناً من الأطفال الذين ولدوا لأمهات أقلَّ تفاؤلاً.

إنَّ محبتك الآخرين مكسب ديني ودنيوي، وإنَّ تحببك للآخرين حتى يحبوك مطلب ديني ودنيوي.

ولئن كنت في الخطبة الماضية وضعت بين يديك – أيها الأخ- ثلاثة أمور تعزز محبتك للآخرين، فها أنا أضع بين يديك الآن **أربعة أمور تحببك للآخرين**:

الإحسان للآخرين، الإيجابية في التَّعامل مع الآخرين، ترك المعاصي، حُسْن الخُلُق.

أوَّلاً: الإحسان للآخرين.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت:34]. أَحْسِن للقريب والبعيد، للصَّغير وإلى الكبير، إلى من لك عنده مصلحة ومن لا مصلحة لك عنده، أحسن إلى النَّاس جميعاً، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت:34].

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسان

الإنسان عبدُ الإحسان، ويبدأ الإحسان من الابتسام بدلاً من العبوس في وجوه الناس.

قيل للعتابي: إنك تلقى النَّاس كلّهم بالبشر؟ قال: (دفع ضغينة بأيسر مؤونة، واكتساب إخوان بأيسر مبذول).

فأوَّل الإحسان الابتسام، ثمَّ حُسْن اللِّقاء والسَّلام، وكم من عداوةٍ دُفِنت بمدِّ يد السَّلام، وكم من مودة كُسبت بمدِّ يد السَّلام.

أوَّل الإحسان الابتسام، ثمُّ حُسْن اللِّقاء والسَّلام، ثمَّ الهدية.

ولعلَّ الهدية تكون وردة، أو لوحةً تذكاريةً، أو كتاباً، أو قلماً، أو بطاقةً كُتِب عليها شكر وثناء، أو أقلَّ من ذلك أو أكثر، فهي نوع من الإحسان للآخرين، تحببك إليهم.

يبدأ الإحسان بالابتسام، ثمَّ بحسن اللِّقاء والسلام، ثمَّ بالهدية، ثمّ بإسداء الخدمة والمساعدة بالنَّفس والمال.

حدَّثني أحد أطباء الجراحة العظمية قائلاً: إنَّ السَّعادة التي تغمرني عندما أرى مريضاً أَقعَدَه كسرٌ متبدِّل تماثَل للشِّفاء وعاد يمشي ثانية وأُجرِيَ ذلك على يديّ، هي سعادة تفوق مالَ الدُّنيا كلَّه.

وحدَّثني رجل -مشغوف بمساعدة الشَّباب الصَّالحين على الزَّواج ومجتهد في مدِّ يد العون لهم-، قائلاً: عندما أحضر عرس أحدهم -على بساطته- أشعر بسعادة تملؤني لا يساويها مال الدنيا كله.

فأنت تنال سعادة وأُلفة كبيرتين عندما تحسن إلى الآخرين.

ثانياً: الإيجابية في التَّعامل مع الآخرين.

من لم يبادرك بمعروف بادِره أنت، ومن لم يزرك فزُره أنت، من يأس من الظروف واسِه أنت، ومن ضاقت عليه الأمور فشُدَّ أزره أنت، ومن خارت قواه فقَوِّ عزمه وعزيمته أنت.

تفاءل؛ فأنت تعبد الله وغيرك لايعرف رباً يعبده ويخبط في الحياة خبط عشواء.

انشرح؛ فقد بتَّ في بيتك وغيرك بات في المشفى أو في غياهب السجن.

اعمل؛ فأنت قادر على الحركة وغيرك مقعد على كرسي لا يستطيع الحراك.

الإيجابية أن تبذل ما استطعت وتحاول ما قدرت، وأن لا تعجز.

بقعة الضَّوء في الظَّلام مهما كانت صغيرة تكون محطَّاً للأنظار وتستقطب من يرتجي النُّور.

الأنبياء والعظماء والعباقرة أفراد قلائل غيَّروا مجرى التَّاريخ والحضارة والإنسان.

يُذكر أنَّ أديسون مخترع المصباح الكهربائي أجرى عشرة آلاف محاولة غير ناجحة، لكنَّه في النِّهاية وصل لاختراع المصباح الكهربائي، -ولعلَّ الرَّقم مبالغ فيه لكنَّ المهمَّ أنَّه أجرى محاولات كثيرة ولم ينجح ثمَّ بعدها نجح- فقال أديسون يومها: (اكتشفت عشرة آلاف طريقة لا يعمل المصباح من خلالها)، هذه نظرة إيجابية.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**المؤمن القويُّ خيْر وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضَّعيف، وفي كلٍّ خير، احرِصْ على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزْ، وإن أصابك شيء فلا تقُل: لو أنِّي فعلتُ لكان كذا وكذا، ولكن قل: قَدَّر الله وما شاءَ فعَل، فإن لو تفتحُ عَمَلَ الشَّيطان**» [مسلم].

ثالثاً: ترك المعاصي.

إن للمعصية ظلمة في القلب، وشيناً في الوجه، ووهناً في البدن، ونقصاً في الرِّزق، وبُغضةً في قلوب الخَلْق.

وللطَّاعة شرحاً في الصَّدر، ونوراً في القلب، وقوة في الجسم، وزيادةً في الرِّزق، وأُلفةً في قلوب الخَلْق.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً﴾ [مريم:96].

قال المفسرون: إنَّ الذين صدَّقوا بالله ورسله، وعملوا بطاعة الله واجتنبوا المعاصي، سيجعل الله مودةً لهم في القلوب، يحبُّهم النَّاس ويَرضَى الله عنهم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «**إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ**».

وزاد مسلم: «**وَإذا أَبغض عبداً دعا جبريلَ، فيقول: إِنِّي أُبْغِضُ فلاناً فَأَبْغِضْه، قال: فَيُبْغِضُه جبريلُ، ثمَّ ينادي في أهل السَّماء: إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فلاناً فأبغضوه، ثمَّ تُوضَعُ له البغضاءُ في الأرض**».

قال أحد الصَّالحين: ما أقبل أحد بقلبه على الله تعالى إلا أقبل الله تعالى بقلوب أهل الإيمان إليه حتَّى يرزقه مودتهم ورحمتهم.

عندما أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، قال بعدها مباشرة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾، فالمعاصي توقع العداوة والبغضاء، وترفع الألفة والمحبة، وتزرع الشِّقاق والفراق، فالزِّنا يفكك العلاقات الأسرية، والرِّبا والسرقة يقطعان العلاقات الاجتماعية، والغش والاحتكار والكذب يدمِّران العلاقات الاقتصادية، والغيبة والنَّميمة والسُّخرية و... تلقي الغِّل في قلوب العباد، وترك المعاصي يحبِّبك للآخرين.

رابعاً: حُسْن الخُلُق:

روي أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاقًا، الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافًا -يعني: ليني الجانب المتواضعين-، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ، الْمُلْتَمِسُونَ لِلْبُرَاءِ الْعَنَتَ الْعَيْبَ» [الطبراني].

قال أحد الحكماء: (سَعة الأخلاق تفتح كُنوز الأرزاق، وتكثر الأصفياء، وتقلِّل الأعداء، وتسهِّل الصِّعاب، وتنيل أسمى الرَّغائب وأعزُّ المطالب).

أيُّها الأخ:

إن محبة الآخرين لك نعمة وإن تحببك إلى الآخرين شكر لهذه النعمة ومحافظة عليها، فالزم هذه الأربعة:

1) الإحسان للآخرين.
2) الإيجابية في التَّعامل مع الآخرين.
3) ترك المعاصي.
4) حسن الخلق.

اللَّهم ارزقنا حبَّك، وحبَّ من يحبُّك، وحبَّ عمل صالح يقرِّبنا لحبِّك، وحبِّبنا لخلقك.

والحمد لله رب العالمين